

سجون البلشفيك

بين الذين قبض عليهم البلشفيك في روسيا وسجنوهم ثم قبضت لهم النجاة رجل انكليزي اسمه هنري بيرمن فكتب مقالة في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وصف فيها ما لقيه هو ورفاقه في السجن مما تظهر فيه اخلاق البلشفيك واغراضهم قال

اقت في روسيا خمساً وعشرين سنة وكنت في خلالها التفت الى قلعة مار بترس وبولس (سجن مشهور) واسمع ما يقوله الذين يعرفون ما يشرف فيها من المظالم والمكرات وقلما خطر ببالي ان يقضى علي يوماً ما بدخولها سجيناً اُثمت بانني قاتل وحكم علي بالقتل وقيل لي ان الحكم سينفذ بعد بضع ساعات وهالك تفصيل ذلك

خرجت من بيتي عصر الحادي والثلاثين من أغسطس الماضي قاصداً السفارة البريطانية ومعي رزمة صغيرة فيها قليل من السندويش (قطع رقيقة من الخبز بينها شيء من الادم) فوصلتها بميد الساعة الرابعة وقضيت شغلي فيها وعزمت على الرجوع واذا بنفجة وصوت طلق ناري وقر من الرجال شباب البحارة وعلى وجوههم سمات الشر يتقدم بعض الضباط دخلوا الغرفة التي كنت فيها مع اثنين من رجال السفارة فحاطوا بنا وامرونا ان نرفع ايدينا والاطلقوا الرصاص علينا فرمنا ايدينا وامرونا فسرنا امامهم الى الغرفة الكبرى حيث كانوا قد جمعوا اكثر رجال السفارة . واقتدت انا الى قرب شرفة الاستقبال التي كانت سفيرنا السابق يستقبل الضيوف فيها وللحال ابتداء اطلاق الرصاص فحسبت انهم حازمون ان يفتكوا بنا كلنا وحاولت الهرب ولم اكد اصل الى المشى حتى رأيت ضابطاً اصابه الرصاص في بطنه وهو يزعم في حشجة الموت فهولت ذرلاً على السلم واذا بنفر آخر من البحارة وهم يشيرون الي وينادون اقتلوه اقتلوه لكنهم لم يقتلوني بل جروني واخرجوني من باب السفارة ووضعوني في اوتوموبيل ويدي مرفوعتان وهم يتوعدونني بالقتل ان انا انزلتها . وسدد واحد منهم مدسة نحو رأسي يتوعدي باطارة دماغي ان انتفت عينه او يسره وهو لا ينطق الا باللعنات والعتائم والتلف لعت كان يمتد به « الانكليز الملاعين » « الانكليز

القصوس قطاع الطرق : وقال ان لا بد من قتلنا بدل الذين قتلوا من رجالهم في جرمان واركنجل. ولما وصلنا الى المخفر وجدت القمفل ودهوس وكانوا قد تبصروا عليو وعلى كل رجال السفارة وقبس الكنيسة الانكليزية في بتروغراد فخبروني بما حدث في السفارة وقتل الكيبتن كرومي الذي كان مديراً للمراسلات البريطانية في بحر البلطيك . فان الدقائق كانوا يبحثون عنه الى ان عدوا من جراسيمهم انه في دار السفارة فذهبوا عليها ونكروا به ووجه من التدوية لا يردعهم شيء ولا يعفون عن جريمة واكثرهم من الجاة . ولما قتلوه مثاوا به تمهيداً شديداً . لكنهم ادعوا انه هو اطلق الرصاص عليهم اولاً وقتل ثلاثة من ضباطهم

وأخذنا واحداً واحداً للتحقيق وكنت واقفاً قرب الباب فأخذت اولاً واورقت امام ضابطين من البلشك وأمرت ان اجيب عما يسألاني وشرع احدهما يشتمني بافصح انواع الشتائم وطلب مني ان اخبره اذا حارب الانكليز البلشك في جرمان واركنجل ولماذا تواطأت حكومتنا على روسيا مع الخرس الابيض والريكوسلوفاك وكل اعداء الثورة وكيف نجسنا على قتل ربيهم اورتزي . فقلت له اني اقت في روسيا ٢٥ سنة لم اتمرض فيها لياستها الداخلية واذا شاءت ان يبحث عن اعمال حكومتي فليسأل رجالها اما انا فقلت متزولاً الا عن اعمال الشمامسة . فادعى اني كنت في السفارة لكي اشترك في المؤامرة على البلشك وانني اشركت في قتل رفاقهم . فانكرت ذلك كل الانكار فصرخ الضابط الآخر وقال اني كذاب وانه هو رآني اطلق الرصاص من مدس في يدي ثم رميت المدس وهربت . فقلت له ان يراعي ذمته حينما يتكلم . فزاد صخباً وصياحاً . ثم كتبوا اقراراي كما قررتة وقالوا لي ان انتظر تحقيقاً آخر واستدعوني بعد ساعة الى امام الضابط الثاني الذي بالغ في شتمني وادعى انه رآني اطلق الرصاص . وكان الفيض قد اخذ منه كل مأخذ فصار كالمجنون وصوب مدسه نحو رأسي وتوعدي بانقتل وقال ان كل الانكليز خداعون خنازير محتالون وان البلشك سيثرون الثورة في انكلترا واقسم مراراً اني سأقتل بعد ساعة مثل الكلب وقأبيداً لتوبله كتب بيده الامر يقتلي بجراحه وهو امر لا مرد له

ثم اخذوني الى غرفة في اعلى المكان فيها نحو عشرين سرياً من غير اضطية ومقاعد من الخشب قرب جدرانها وسبعة وتسعون سجيناً . والغرفة مملوءة

بالاقدار وأنواع الحشرات وكان بين هؤلاء المسجونين لسومر من اخيت
 اللصوص وإلى جانبهم قواد من قواد الجيش الروسي وضباط من ضباط
 وامراء واعيان من كل انطبقات ورجال من كبار العلماء وذبهم الوحيد انهم لم
 يجاروا البلشفيك . وهذا ذنب كل المتعلمين في روسيا لانهم لا يرون في حركة
 البلشفك غير الضرر لبلادهم . وتركنا من غير طعام مطلقاً يومين كاملين فكان
 غذائي الوحيد قطعتا السنديوش اللتان بقيتا معي . وفي اليوم الثالث جاءني شيء
 من الطعام من بيتي فسحج لي باكله . وبعد يومين آخرين أخرجنا من ذلك السجن
 وقيل اننا سُرسل الى سجن مار بطرس وبولس فتمثلت امام عيني بكل الفظائع التي
 كنت اسمع انها ترتكب في ذلك السجن ولكننا صنعنا انا ورفاقي من الانكليز ان
 نحفي الكمد ونظهر الجند وجعلنا نمزح ونضحك . فقيل لنا ان ضحكنا سينتلب
 بكاء ومزحنا المأثم . وسير بنا اربعة اربعة والحراس حولنا ولم نكد نخرج الى
 الشارع حتى رأيت ابنتي الصغيرة ومعها رزمة من الطعام وكان قد مضى عليها
 خمس ساعات منتظرة وهي تتوسل الى الحراس ليسحوا لها بالدخول وهم يهددونها
 باطلاق الرصاص عليها لكنها تشجعت وبقيت واقفة الى ان مررنا امامها فاعطتني
 الرزمة فكانت قوتي اربعة ايام لا طعام غيرها . وكنا ترى الناس في طريقنا يدون
 من الشفقة علينا ما حرك عواطفنا ولكنهم كانوا يخشون ان يذوهوا بكلمة . وقد
 رأيت بعض النساء يبكين لما رأينا او يضعن ايديهن على عيونهن لكي لا يرين
 شيئاً من شدة تألمهن . وسارت ابنتي ورائنا اكل الطريق ولما وصلنا الى باب السجن
 ناديتها وودعتها حاسباً انه الوداع الاخير

وكان يتودنا في الطريق كل من شاب في نحر الساعة عشرة من العمر وهو راكب
 او تومويلاً فآخرأولنا وصننا الى السجن سلطنا الى مديره وهذا ايضا شاب منفوح
 ظمراً ان نطفت اثنان اثنين وسير بنا في عماش كثيرة وكان المسجونون في العرف
 على جانبيها يتطعنون من الكوى الصغيرة التي في ابواب غرفهم ليرونا وهم صفر
 الوجوه يخافون جداً من الجوع تكاد عيونهم تخرج من اوقابها . واخيراً وصلنا الى غرفة
 وأمر الانكليز منا وكنا خمسة ان تقف هناك ففتح الحارس بابها واذا فيها خمسة عشر
 من الروس جالسين على ارضها فكاد يغمى علينا من الرائحة الطيبة المنتشرة منها
 أيصدق ان غرفة ضوؤها ستة امتار وعرضها ثلاثة وعولها متران ونصف متر

وليس لها الأكل واحدة صغيرة جداً قرب ستفها وباب صغير فيه كوة قرب
وسطها طولها خمس بوصات وعرضها أربع وفيها سرير واحد من الحديد ولا
فراش عليه ولا نظاء ولا مخدة سجن فيها خمسة عشر رجلاً وزاد عددهم بنا
الآن فصار عشرين ولا مكان للجلوس غير الأرض وهي من السمعت البارد
المشحون بالهوام على انواعها . مضى على أكثر الروس أشهر في تلك الغرفة
فأسروا جلدًا وعظمًا وكان قد سرَّ عليهم لما رأيناهم أربعة أيام لم يذوقوا طعاماً .
فاستولى عليهم اليأس وشملهم القدر وما ذنبهم . بعضهم كانوا من ضباط الجيش
وبعضهم من الذين ابوا دخول الجيش الأحمر . وكلهم متعلمون مهذبون من
البيوتات الكبيرة وما منهم من حاول مقاومة البلشفك بالقوة . لما علموا أننا
انكيزحسروا بعضهم بعضاً لكي يوسعوا لنا مكاناً واعطونا أفضل مكان أي قرب
الباب لكي نستطيع ان نستشق شيئاً من الهواء فحسرتنا كلنا كالسردين وضافت
انفسنا حتى كدنا نحتق . وكان أكثرهم يتكلمون الانكليزية وبعضهم يحسنها
ويحسن الفرنسية والالمانية . وغاية ما كانوا يتنونون ان تأتي الجنود الانكليزية
وتحرر البلاد من البلشفك والجيش الأحمر . وكان اهاليهم واصدقائهم يرسلون
اليهم الطعام ولكن مدير السجن كان يمنع وصوله اليهم . ولساؤهم وامهاتهم
واحوالهم كنَّ يأتينهم كل يوم بشيء من الطعام والياب والاحرمة ولكن مدير
السجن كان يطردهم ويتوعدهم بالقتل اذا لم يصرفوا حالاً . وجاءتني ابنتي بسلامة
طعام في اليوم السادس ولكن لم يسمح بايصالها اليّ الا بعد يومين وكان فيها
لحم فائق ودود . وكان السجن يقدم الي كل مناكل يوم قليلاً من الماء الدخن
وفي شيء من الكرف حاسباً اياه شوربا وسحكتين مقعدتين فاسدتين . ورشونا
احد السجنين حتى اوصل خبرنا الى سفير هولندا فتمكن من جعل الطعام الذي
يأتينا من بيوتنا يرسل مرتين في الاسبوع الى السفارة الهولندية فماتينا به زوجة
السفير نفسها ولولاد ولولا زوجة لقتلوا أكثرنا كما علمت بعد ذلك

وكثيراً ما حاولنا ان نطيّب قلوب الروس المنجولين معنا ولكن كانت
نفسهم قد صغرت وتولاهم القنوط انام

في الليلة الثالثة من دخولنا هذا السجن ايقظنا الحرس الأحمر وفتحوا الباب
وامرونا ان نخرج الى المشى الذي امامه وقيل لنا حينئذ اننا مرسلون الى نهر نيفا

ومنهُ الى سجن كرونستاد وهو يُسمى أكثر من سجن مار بطرس وبولس وسبر بناعدواً وكان بيننا شيوخ في السبعين والثمانين فكان الحرس الاحمر يضرهم بحشب البنادق كلما عجزوا عن الجري او تمثروا في الطريق فيقع بعضهم ويمجزون عن النهوض فيربغ عليهم اولئك الشياطين بارس والشام ويقبضون على لحاهم البيضاء ويجرونهم بها وهم اقرب الى الاموات منهم الى الاحياء . وحالما وصلنا الى الباب الخارجى صدر الامر باز يعود الانكليز والفرنديون منا الى سجنهم ولا ازال الى الآن وقاي يكاد ينمطر حينما افكر فيما حل باولئك المنكودي الحظ الذين كانوا معنا من الروس فاني احببتهم وتعلقت قبي بهم لما رأيتهم من الدعة وكرم الاخلاق والتسليم لفتاء الله من غير ان يفوهوا بكلمة سوء على معذبيهم . صالحونا والسكابة تملو وجوههم ثم علمنا ان اولئك الاشرار طرحوا اكثرهم في نهر نيفا وهم سائرون بهم الى كرونستاد . كانت ام واحد منهم تأتي كل يوم الى باب السجن تبكي وتتضرع لتعلم شيئاً عن ابنها فقيل لها اخيراً ان تصلي لاجل نفسه . والذين لم يطرحوا في النهر قتلوا رمياً بالزصاص والقنابل الذين لم يفرقوا ولم يقتلوا تركوا ليوتوا جوعاً في سجن كرونستاد

ولما عدنا الى سجننا وضع كل عشرة منا في غرفة فتجسفت حانا قليلاً وللحال جعلنا نتظف غرفنا ونبتل ما فيها من التسل والبق ولكننا لم نستطع استتصاله لكثرتِه . وكنا نفي بعض اغانينا الوطنية تخميناً للسامية فامرنا الحرس الاحمر ان نصمت فلم تفعل فزاد الحاجة وزدنا عناداً وكان معنا مكاتبو بعض الجرائد الانكليزية الستندرد والديلي كرونكل والديلي اكبرس والمورفنج بوست . وتمكن مكاتب الديلي كرونكل من برطلة الحراس حتى ارسلوا له رسالتين الى جريدته فوصلتا اليها واما الرسالة الثالثة فلم تصل والجندي الذي استلمها اختفى اثره ووجدنا في سجننا اسماء كثيرين من رجال الروس الذين سجنوا فيه قبانا مثل برقف الثوري الذي ذاق الامرين في عهد القيصر ثم قضى عليه البلشفيك كرجي ومقاوم للشورة . وشنغارف زعيم المدارس الحربية فانه أخذ من هناك هو وكوكشكين الزعيم الآخر بحجة انها مريضتان ويراد نقلهما الى المستشفى وقتلا صبراً . وهناك غرف اخرى سجن فيها كثيرون من قواد الجيش وغيرهم من اشراف البلاد وواحد من اولئك القواد كان في الثمانين من عمره باصية يضاء ذبيلة ووجهه

طابق بشورس وتدقيقه في الاوقات النادرة التي كنا نخرج فيها الى المشى لتمشي فيه خمس دقائق. وكان سامورالجن ورجاله شديدي انكروه طقولا للقواد بنوع خاص فدوا الكوة الصغيرة التي في باب سجنهم وبعد يومين ماتت اثناء النواقي يدخلن الطعام الى المسجونين ورجون من المدير ان يفتح لهم ابواب فوجدن اكثر اوثك المتكودي لخط منطرحين على الارض عند اسفل ابواب ليتشفوا القليل من الهواء الداخل من هناك. وما اصدق ما قيل ان البلشك ابالة في ثياب البشر ومرت الايام ولم يسمح لاحد ان يرانا وانما كان يسمح لنا ان نخرج الى المشى مرة كل اسبوع او اسبوعين وتقيم فيه خمس دقائق لا غير. وهو رطب عظم لا يفرق عن السجن ولكننا كنا نحبه جنة لاننا كنا نتحدث فيه مع غيرنا من المساجين. ونحن البريطانيون كنا اربعة وخمسين رجلاً قبض على نحو نصفنا في دار السفارة وعلى الباقيين في اشوارع

ولم يسمح لنا ان نكتب احداً ولكننا خالطنا هذا القانون كما تقدم. ولم يسمح ان يأتينا كتاب او جريدة ولكننا برطلنا الحراس فاتفونا بنسخ من بعض الجرائد. وكان البلشك قد الفوا الجرائد كلها واخذوا مطالبها وسجنوا اصحابها وحرروها ولم يبقوا الا ثلاثاً منها قلب الحقائق وتغني عددهم ققرأنا في احداها مذكرة المستر بلفور حينما طلب عقاب الذين قتلوا كروبي والافراج عن كل البريطانيون فسررتنا بها ورسر الروس معنا. ويليها رد تششرين بما قيو من الصلف. وبعد نهاية اربعة اسابيع اطلق رجال السفارة كلهم وعدتهم سبعة عشر فسررتنا بالافراج عنهم ولكننا زدنا فما لاننا لم نعلم ماذا يحصل بنا. ومرت ثلاثة اسابيع اخرى ونحن على مثل جمر القضا واصابي زكام شديد وضعف في قلبي

ويوم الاحد في العشرين من اكتوبر سمعت صوت الجان يقول لي استعد للخروج وفي اقل من دقيقتين تبعته بقلب خائف ورجلين مصطكتين الى ان وصلنا الى غرفة المدير وانتظرت هناك ساعتين ونصف ساعة فاعطيت ورقة الافراج عني وخرجت الكعب وحالما وقع نظري على السماء بعد ان مررت على خمسون يرمال وجهه كاد ينسى علي. وبيتي بعيد عن السجن عشرة اميال فوصلت اليه بعد التيا والتي وانا اشكر الله واتوسل اليه ان ينجي بلادي من شر البلشك التي هي اشتراكية تولاها الجنون (المقتطف. ومدنى البلشك الغلاة او المتطرفون)